قارُون العطّار

- عنوان الكتاب: قارون العطار
- تصنيف الكتاب: مسرحية شعرية
- اسم المؤلف: عادل محمد
- رقم الإيداع: 30268 /2024
- الترقيم الدولي:978-977-9677-52-1
- الطبعة الأولى: 2024
- الناشر: مؤسسة غايا للإبداع

- 01066749525 / 01094075948
- publishing@ghayaeg.com
- ghayaeg.com
- www.facebook.com/ghayaeg
- www.instagram.com/ghayaeg
- www.youtube.com/@Ghaya-7

جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

قارُون العطّار

مسرحيّة شعريّة

عادل محمد

الفَصلُ الأوّل

المشهد الأول

(رجالٌ على يمين المسرح يتحاورون في دهشة، وعلى يسار المسرح بقعة ضوءٍ على زوجين يحتفلان بمولودٍ جديد)

رجل 1 : قارون؟ سمَّاهُ أبوهُ قارون؟

ما أغربَ ما اختار وما أصعبَ فهمَه!

رجل 2 : هذا الرجلُ عديمُ الرَّحمةْ

رجل 3 : النَّاس تُسمّي بالأسماء الملعونةْ

لم أشهد بحياتي مثل اليوم غباءً ورُعُونَةْ

رجل 4 : يا إخواني عَلَّ هنالك قارونًا آخرَ لا نعلمهُ

غيرَ الجاحد في قِصّة مُوسَى،

ولعلَّ أباه تَبرَّكَ به

رجل 1 : لا نعلم مَن يُدعى في التاريخ بهذا الاسمِ سواه؛

الرجل المغرور الجاحد بنعيم الله

رجل 2 : فلماذا يختارُ (العطارُ) لولدٍ يتمنّاه مصيرَ الأشرارْ؟

أوَلَا يعلمُ أنَّ الأسماءَ كما الأقدارْ؟

ولكلٍّ مِن كُنيتهِ قدرٌ من مَعناه

رجل 3: هذا ما كنتُ أقولُ:

اللعنة تُستَدعَى بالضبط كما يُستدعَى الفألُ الطيّبُ

وكأنّا نحمل في الألقاب طيوفًا مِن سُخط الآتي ورِضاه

رجل 4 : لا شأنَ لنا.. هو حرٌّ فيما سَمّاه

المشهد الثاني

(إضاءة على العطّار و ابنه قارون –بعمر عشر سنوات- في دكان صغيروسط المسرح، ير اقب ابنه وهو منشغل بزجاجة في يده)

العطار: ما هذا يا قارون؟

قارون: هذا عِطرْ

(يقرّب العطارُ أنفَه ويشمُّه)

العطار: الله.. هذا سِحرْ!

قارون: إنْ أعجبَكَ السائلُ كرَّرتُ الأمرْ

العطار: كيف صنَعتَه؟

من أيِّ نباتٍ ألّفتَه؟

قارون: مِن ورق النارنْج وزَهرِ الحامضْ

العطار: هذا عطرٌ غامِضْ..

(يشمُّ العطرَ مرةً أخرى)

وغريبْ!

قارون: دَعْني.. وسآتيكَ بكلِّ عجيبْ

(يبتسم الأب وهو يمسّد رأسَ الطفل مشجعًا)

العطار: ما أسرع ما تحفظ مِن وَصَفاتْ

وأنا في سِنّكَ لم ألكُ مثلَكَ أتقِنُ ما للبذرة من أثرٍ وصِفاتْ

قد أحصيتَ سريعًا ما في الدكان برائحةٍ واسمْ

قارون (بحماس): لكن لا بدَّ هنالك ما لا يُحصى من أشباهٍ في العالَمْ

في عمق البحر وفي الغابات وفوق جبالٍ وتلالٍ

تتبدَّلُ للزَّهر طقوسٌ ومواسمْ

لو أنّي أملكُ ما يتنفَّس من عُشبٍ في هذا الكون الضّخمْ

لقضَيتُ على ما يعرض للإنسان بلا كدَرٍ وألمْ

العطار: ما أسعدني بنبوغِكَ.. هذا مِن ربّي كَرَمٌ جَمّ

قارون: بلْ قُل أوتيتَ على عِلْم!

المشهد الثالث

(العطارُ وامرأتُه يسار المسرح يجلسان على أريكةٍ في بيتهما البسيط، وقارون نائم على سرير جانبيّ)

العطار (بإعجاب) : شأنٌ عالٍ ينتظر المبدع قارون

الزوجة: (تزمُّ شفتيها) مجنون

أنتَ وولدُكَ مجنونانِ على بحرٍ هائجْ

تَختَبرانِ اللؤلؤَ في الأمواجْ

وتميدُ بظلِّكما الأرضُ

كمَلِكٍ يسقطُ عن جَبهتِهِ التّاجْ

أنتَ وولدُكَ تنتظران مصيرًا كمصير الحجّاجْ

آهٍ لو أعلم ماذا دار برأسكَ حين اخترتَ اسمَه؟

العطار (وهو يقف ويتحرك):

القِسمَةْ؛

أنْ يملكَ ما يحفظُ للعين البَسْمةْ

أنْ يغمض عينيه فيعرف عن ما يجهلُ وَسمَه

أن يتنقَّلَ في مُلكٍ لم يبلغْهُ سواه

هذا أيضًا فَضلُ الله

الزوجة: لكن قارون..

العطار: وهذا ما تخشين وأخشى

قارون الأصليُّ غَرورٌ أعشى

لا يبصر مِن نُور العِلم سوى نارِ الحطب الجافْ

أمّا قارونُ العطّارُ فذو قلبٍ شفّافْ

الزوجة: والله إنّي لأرى أيامًا سوداءَ تراقبُهُ.. وسنينَ عِجافْ!

إنّي أتهيبُ من رؤيايَ وقَدْرَ الحبِّ أخافْ

(وهي تنظر لابنها النائم نظرة مشفقة)

الفَصلُ الثّاني

المشهد الأول

(شابّ عشرينيّ وسيمٌ في ثيابٍ زاهية يجلس على باب عطارة كبيرة في وسط المسرح عليها لافتة بعنوان السحر الحلال، مِن خلفِه عُمّال يحضرون الوصفات التي أمَرَهم بها للزبائن المتزاحمة)

امرأة 1: ولَدِي يا قارون

قارون (بتواضعٍ مصطنع): نعم.. أمرُكِ يا والدتي

امرأة 1(باحتجاج): والدتُك؟

إنّي أعني ولَدِي يا قارون يصيح طوالَ الليلة مِن قَلبِه

يشكو من طعناتٍ تتكرّر في جَنبِه

قارون (بعد أن فهم): لا بأس عليهِ (ثم مشيرًا لأحد العمّال)

خُذي مقدارَ القبضة مُرًّا وشَمَردَل

وأضيفي ماءًا مَغليًا وقليلًا من خَردَل

ثم اسقيه ثلاثةَ أيامٍ لا ينقطع ليومٍ عن شُربِه

لن يشكوَ بعد الليلة من قَلبِه

(تتناول المرأة ما أحضره العامل بامتنانٍ وتنصرف وهو تقول)

امرأة 1: بوركتَ.. لِوصفاتكَ ما لا يتحقَّقُ لطبيبْ

(تسير جوارها امرأةٌ تحمل ما اشترتْه من العطارة وهي تؤكّد كلامها)

امرأة 2: مذ كان صغيرًا يصحبُهُ والدُهُ

والنَّاس يقولون ذكيٌ وأريبْ

عالَجَ زوجي مِن خَدَرٍ في الشَّفَةِ

وركَّبَ لي عطرًا (تغمز للمرأة الأولى) لو مَرَّ على الثلج يذوبْ

(تضحكان وتخرجان من يسار المسرح، في حين يقترب من الدكان أربعة رجال يحملون صندوقًا ضخمًا يتقدّمهم خامس، يُحيّي قارون ويسأله)

الخامس: أإلى المخزن يا سيّدُ قارون أم الدّار؟

قارون: مُرْهُم أنْ يضعوه هنا (يتعمّد أن يرفعَ صوته) بجوار بذور النّار

(يتلفّت الزبائنُ في دهشةٍ وافتتان)

الخامس (مندهشًا): أمْرِكْ..

(يكمل في سرِّه وهو يشير للرجال بوضع الصندوق)

هذا الشابُّ غريب الأطوار!

منذ متى كانت للنار بذورٌ وثمار!

قارون (يقوم إلى الخامس يقف جواره ويحدّثُه بهدوء):

لا تنسَ إذا غابت شمسُ اليوم مرورَك قُربَ أراضيَّ الغربيّةْ

اجمع لي من آخر صفٍّ حِملَ بَعيرَينِ وسِرْ في الظُّلمةْ

لا تشعل نارًا أبدًا

وحذار حذار مخالفةَ القولِ وإلا لا أضمن ما يحدث لكْ

الخامس (بخوف): أمرك.. أمركْ

(ينصرف والباقون ويعود قارون لجلسته المنتشية)

(يسمع جَلَبَةً بين الزبائن، يتلفَّت حتى يرى قزمًا يسعى بين النَّاس ولا يتمكن من إدراك البائع، يبتسم قارون ويشير لعامله أن يحضر هذا القزم إليه ويسأله عن طلبه)

قارون: ما لكَ ترفعُ صوتَك يا سيّد .... ؟

القزم: قنديلْ

ولعلَّكَ لا تحتاج الآنَ التعليلْ

صَوتي مثلي

ويدِي ولساني والقلب المشغولْ

قارون (في فضولٍ وانتباهٍ ولم يزل جالسًا):

لكأنّكَ جئتَ لِدُكّاني تطلبُ حَلّا

القزم (حزينًا وقد اقتربَ من قارون) :

لو ذقتَ الحبَّ

وذقتَ العجزَ أمام المحبوبة ليئستَ وضاق بك الكون مَحلّا

في البدء نشأنا الكفُّ على الكفِّ وخِلًّا يتبع خِلَّا

ثم ارتفعَتْ (فَدْوَى) كالشَّجر الباسقِ

وظلَلْتُ أنا تحت جناحيها ظِلّا

قارون: فدوى بنت الدرّاز؟

القزم: نَعَم، هل تعرفُها؟

ما أغباني!، مَن ذا لا يعرف فَدوى

من ذا لا ينفخ في نار القلب إذا مرّتْ

ويصب الماء على الأعصاب المحترقةْ

أرأيتَ نسيمًا يَقتلُ بالرِّقَةْ

فدوى تَذهبُ رُوحي لرهافة نَظرتِها

ولِنَقرةِ إصبعِها فوق الباب إذا دقَّتْ دَقَّة

لكنْ يا سيّدُ قارون كأنَّ الأرض تناديني

وأكاد -وقد صَعِدَتْ كالطير- أرى عينيها بحنينٍ ومشقَّة

هذا قاسٍ يا قارون (يُفاجَأ قارونُ بحذف الألقابِ)

اعذرني أربَكني الحزنُ وأنساني أنْ أعطيَ كلَّ نبيلٍ حَقَّه

(يصمت في استسلام)

قارون (وهو يقف ويبدو شاردًا): حالُكَ صعبٌ يا قنديل

ما أتعس شُعلتَكَ أمام الشمس وما أتعسَ قلبَكَ وهو فَتِيل

(يمشي بضعة خطوات يمين المسرح حيث بعض الأشجار القصيرة حتى يقف جوار شجيرة رمّانٍ ويطالعها من أسفلها حتى طرف الغصن ويلمسها بيديه، وهو يقول بلحنٍ خافِت)

ملفوفٌ عُودُكِ ملفوفْ وعليك من الزهر صنوف

لو هزَّتكِ النسمة يومًا فالنَّاس أيادٍ وأنوف

(ينتبه قارون من شروده وخيالاته ويعود لمواساة القزم)

: لا تحزن يا قنديلَ الحيّ (يبتسم القزم لمجاملته)

النَّاس بلا أسبابٍ يفترقونَ

وقد يجتمع الأضدادُ؛ كما يخرج من مَيْتٍ حيّ

لو كانت بنتُ الدرّاز تحبُّكَ ستميل إليكَ بغُصن ذراعيها

وتقولُ أتيتُكَ يا قنديلُ فخُذْ بيديّ

أمّا إنْ كنتَ تحاولُ فاعلم أنَّ دواءكَ ليس لديّ

(يبتلع القزم الغصةَ، يتلعثم وهو يجرّب أن يقنع قارون بأن يبحث في أسرار الأعشاب)

القزم: يا سيّدُ قارون، النَّاس تقول بأنَّكَ شيخُ الصَّنعةِ

وبأنَّ الجسدَ عجينٌ في فُرنِكْ

وبأنَّ العطارِينَ جميعًا ما بَلغُوا مِعشارَكَ وبأنّك واحدُ قَرنِكْ

حاوِلْ.. فلإنْ لم تفعَلْ لأكونَنَّ فريسةَ هذا النّهرْ

وأعلّق نفسي بيَدِي في مشنقةِ القهرْ

(يشعر قارون بقدرٍ من زهوٍ وبقدرٍ من شفقة)

قارون: اسمع يا قنديل، (يستدرك) ولكنّي أخشى من أملٍ كاذبْ

(ينتبه القزم) الحقّ بأنّ لديّ تجاربْ

قد تُؤتي ثمرًا، فاتركني أختبر الأجناسَ ولكن عِدني بالصّبرْ

وكذلك عِدني –حتى أجمع أفكاري- أنْ تنسى الأمرْ

القزم: أعدُكَ أن أتمسَّكَ بالطرف الباقي من حبل الأقدارْ

وبأنّي سوف أجرِّب كلَّ سبيلٍ

حتى.. (يتلفَّت) حتى (يتلفَّت) حتى لو كان بذورَ النّارْ!

(إظلام على عين قارون المندهشة وعين القزم المتحمسة)

المشهد الثاني

(الوقت ليل، جدار بيتٍ على يمين المسرح به شباك تطلُّ منه فتاتان؛ فدوى وأختها وفي يد كلتيهما رمّانة)

الأخت: شاردةٌ أنتِ.. وحُقَّ لمثلكِ أن تَشرد

فدوى معشوقةُ نصفِ الحيّ ومالكةُ قلوب الأشيب والأمرد

حتى القزم المتواري قنديلْ

فدوى: قنديل.. آهٍ من حَسرتِهِ..

قزم حقًا.. لكنَّ ذراعَ مَحبَّتِه غَضٌّ وطويلْ

الأخت (وهي تضرب أختها بالرمّانة):

لكأنكِ يا بنتَ الدرّاز جُننتِ لتَمتدحي هذا الإنسانْ

فدوى(تنظر أسفل الشبّاكِ لائمةً): سَقَطَ الرمّانْ

(تختفي فدوى من إطار الشباك ونراها تخرج من جوار جدار البيت لتحضر الرمّان ويُضاء يسار المسرح على قارون المتخفّي وهو ير اقب فدوى منبهرًا بجمالها دون أن تشعر به)

فدوى (وقد أمسكتْ بالرمّان):

أمدح ما في الروح ولا أمدح جَسدَه

(تتحرك قرب الشباك وهي تتكلم)

كنّا ولعلك شاهدتِ صبانا،

كنّا نضحك ضحكًا لا أذكر عددَه

كنتُ وما زلتُ أرى في عينيه إذا شاهَدَني سَعدَه

لم أدرك في ذاك العهد بأنَّ زمان الأُلفةِ سوف يُغيّر عهدَه

ورأيتُ أباكِ وقد كان أدقَّ النَّاس صوابًا يفقد رشدَه

الأخت (بغضب):

هل كنتِ تريدين الدرّاز الملكيّ يُجاري في الحُبّ جنونَكْ؟

ما أوقح قلبَك ومُجونَكْ (بغيظٍ يقابله استنكار فدوى)

وبغضِّ النظر عن الجاه وقُربِ أبيكِ من السلطانْ

كيف بعينين مُجرَّدَتَين تميلين لهذا الإنسانْ؟!

فدوى (بيأس وهي تبعد عينيها):

لا مِلْتُ ولا مال أُخيَّةَ بعد الآنْ

قُضي الأمر وما كنّا نخشاه برغم الرّغبة كانْ

معجزة نحتاج (وهي تنظر جهة قارون فترى ظلالًا تتحرك)

أو حتى تعويذة جان (يختفي قارون الذي لاحظ التفاتها)

المشهد الثالث

(قارون في معمله وهو جزء مرتفع من بيته يصعد إليه ويفصله عن الردهة جدار، يقف وحيدًا في الظلام أمام قارورة يغلي داخلها سائل أصفر/ أزرق، وعلى المنضدة أنابيب ومكاييل وقفص به جرذ أبيض، يشاهد قارون الدخان المتصاعد من القارورة في حذر و انتباه ويحدّثُ نفسَه)

: هل حان الوقتُ لمعجزتي

أيّتها البذرة غِيري من صِفَتي

وطموحي وجنوحي

وامتلئي بالزّهو كما أملأ رئتي

لكأنّكَ جوهرةُ التاجِ وَعرشٌ سيمدُّ دعائمَه في بيتي

من أجلِكِ طُفتُ بلادًا وحوانيتَ وأنفقتُ الغالي من وقتي

كنتِ مجردَ خاطرة في بالي ثم مَلئتِ خيالي بالسحر

وها أنتِ

تختمرين ببطءٍ في صومعتي

آهٍ لو أنّ عُصارتَكِ الذهبيةَ صارت إكسيرًا

لغدوتُ أميرًا

ولكنتُ وكنتِ

لم يتبقّ لنا إلا هذا البذرُ المسحورُ الليليّ

هجينُ الأعشاب غريبُ النكهة والفئةِ

(ينظر للجرذ) هانت يا قنديلي الأبيض

بعضٌ من جَلَدٍ، بعض من ثقةٍ لكثيرٍ يأتي من دَعَةِ

هانت يا فدوى؛ ما كان لقزمٍ فَلِسَيّد صَنعتِه يأتي

وستأتين إليّ كما طافت أقمارٌ حول كواكبَ،

وكواكبُ حولَ النجمِ،

اشتعلي بالفتنة حيث يشاء الحبُّ وشئتِ

اغلِ.. اغلِ وفُرْ يا بذر النار (يسمع طرقات على الباب فتتسع عيناه ويكمل) غدًا لن يعلو صوتٌ مهما كان على صوتي

(ينزل السلّم، يطفئ المصباح، ويفتح باب البيت، يدخل العامل الذي أوصاه من قبل يحمل جوالين مربوطين ويضعهما بهدوءٍ على الأرض)

العامل (وهو يلهث):

من آخر صفٍ، لم أشعل نارًا، سرتُ على ضوء البدر،

لقد كدتُ أضلُّ وكادت قدماي تزلّان ولكنّي وبحمد الله نَجَوتْ

أخبِرْني يا سيّدُ قارون لماذا هذا الحذر الجَمّ؟

إنّ وصاياكَ بهذي العُشبة حَبسَتْ في جسدي الدّمْ

وكأنّي أحمل بين يَديَّ الموتْ

قارون (يتظاهر بعدم الاهتمام):

لا شيء؛ نباتٌ لا يَحسُنُ أنْ يقترب من النّارِ أوانَ حصادِه

يُفسدُه -إن قُطفَ- الضوءُ الحار ويُفقِدُه بعضَ موادِه

العامل (يخفي اضطرابه بابتسامةٍ مرتعشة):

آها.. ولذلك كنتَ تعلّمُني نَقلَه

حمدًا لله ظننتُكَ ستُحرِّم أكلَه (يبتسم ابتسامةً خائفة)

قارون (بفزع): ماذا تعني؟ هل حاولتَ (يقاطعُه العامل)

العامل (بارتباك): أنا؟.. لا، لا يا سيّدُ قارون..

وها كلُّ جوالٍ مربوطٌ وعَقدْتُ بإحكامٍ حَبلَه

قارون (يتنهّد): حسنًا يا زهّارُ انصرف الآنَ.. وخُذ (يعطيه عملةً ذهبيّة) هذا أجرُ نَباهتِكَ، قليلًا ما نحظى بأجيرٍ فَطِنٍ وأمينْ

(العامل يأخذها وينصرف في صمت وابتسامة شاكرة، يغلق قارون الباب وينظر للجوالَينِ بانتصارٍ وتَحَمُّس، يرفع أحدهما صاعدًا به ليسمع صوت البذور التي تتساقط منه فيقف مبهوتًا)

اللعنة، ماذا أحدثتَ بنفسكَ!، هذا بذرٌ حارٌّ وهجينْ

ماذا أحدثتَ بنفسكَ، ذقتَ العشبةَ قبل الفأرة يا مسكينْ!

الفَصلُ الثّالث

المشهد الأول

(قارون أمام عِطارته يبدو عليه التوتّر، يجلس حينًا ويقوم ، يمشي بضع خطوات ويقلّب بَصرَه يَمنة ويَسرة ثم يعود إلى جِلسَتِه السابقة، يَستدعي أحد العمّال ويسأله)

قارون: ما بالُ الزهّار.. كأنّي لم أرَهُ منذ خَميسَين؟

العامل: لا أدري يا سيّدُ قارون.. مُعاونُهُ حتّى لا يَعلم أين!

سألُوا عنهُ في البيت فقالت زوجتُهُ

خَرجَ غريبَ الوجهِ حزين العينْ

آخِرُ مَن شاهَدَه كان السّقّا وهو يُعبِّئ قِربتَهُ عند النهر

وأخبَرَنا بعد الواقعة بأنّ الزهّار تلثَّم فَورَ أن التقَت العينانِ

وأخفى أنفًا وأدار إلى الظهر يَدَينْ

(يرتبك قارون.. ويتهتِه وهو يحاول أن يجد الكلمات)

قارون: ما هذي الأخبار..

أوَلا يتوقّف أهلُ الحيّ عن الدَجَل وحبِّ التخريفْ

العامل: لو صحّ الوصف فإنّ الحادث لا ريبَ مخيفْ

قارون: كُفّ عن العبث؛ لعلَّ الرجلَ مريضٌ

أو يقضي طلبًا في أرض الله الواسعة، فكفُّوا عن هذا التجديفْ

اسمَعْ.. هل أرسلتَ كما أخبرتُكَ في طلب السيّدِ قنديل؟

العامل: منذ أمرتَ.. عسى أن يصلَكَ بعد قليلْ

قارون: عُد أنتَ إلى العملِ

(يبتعد قارون عن الدّكان إلى مُقدّمة المسرح ويحدّث نفسَه)

تأكدَّ ظني؛ يبدو أنَّ البذرة فَعلَتْ بالزهّارِ أفاعِيل!

لو صحَّ الوصفُ يكون لتجربتي برهانٌ لا يحتمل الشك

لا بدَّ بأنْ تجتمع بذورُ النّار مع العشب الليليّ ليكتمل السَّبك

لما جَربتُ مع الجرذ العشبَ أو البذرَ وحيدًا طالت أذناه

وشيءٌ في الذيل تشقَّقَ

حتى صار الجرذُ يدور وفي زاوية القفص يحكُّ ويفرك

أمّا الآن فهذا (وهو يخرج قارورة صغيرة من جيبه)

مزجٌ محسوبٌ (ما زال مرتبكًا) لن يُحدث في قنديلٍ أيَّ ضررْ

حتى لو صار..

فهل ثَمّةَ أسوأ من أنْ يصبحَ أقصَرْ (يبتسم ساخرًا)

هو في كل الأحوال مُضَحٍّ،

وسأشترط عليه بأنّي لستُ بمسئولٍ عما يُسفِر

كان سينتحر كما أخبَرَني؛

فلهذا لا بأس بخطرٍ مقبولٍ ما دام يُجنّبُه الأخطر

(يظهر قنديل عند الدكان باحثًا عن قارون حتى يراه ويهرول إلى مقدّمة المسرح)

قنديل: سيّد قارون.. اعذرني

كنتُ أعدُّ لفَدوى باقةَ وردٍ حين استدعوني

يبدو أنّ لديكَ جديدًا يسعدُني.. فلتخبرْني

أرجوكَ.. فإنّي كالواقِف فوق الجمر وأحسب من لهفي أنّي

سأطول من الفرحة أكثرَ ممّا تخفي عني

قلبي يتحرك كالفأر (يهرب قارون بعينيه) وضلوعي قفصٌ.. لكنّي

أشعر أنَّ الفأر يُغنّي (يضحك بهستريا ويبتسم قارون بارتباك)

(يُخرج قارون القارورة بحذرومواراة فيتطلّع قنديل بحماس)

قارون (وهو يمدّ يده بالقارورة): ستُغنّي يا قنديلُ

ويتغنّى النَّاسُ بمعجزةٍ تتحقّقْ

(يسارع قنديل بأخذ القارورة ويحاول فتْحَها)

قارون: ماذا تفعل؟ هذا أكثر فِعلٍ أحمق (يخفض صوته)

اذهب للبيت، وضَعْ مقدارَ غطاءٍ في شَربة ماءٍ

حتى يصبح ماءً أزرقْ

كرّر ذلك يومين ودَعْ.. يومين وَدَعْ.. لا أوسعَ من ذلك لا أضيَق

(يتراجع قنديل بظَهرِه منصرفًا.. فيما قارون يكمل وهو يشير بسبّابته)

واعتزل النَّاس.. ولا تُخبِر أحدًا.. لا تُخبِر حتّى فَدوى

لا تَظهَر حتّى تتعملق. **(إظلام)**

المشهد الثاني

(شباك بيت فدوى وقنديل قادمٌ بابتهاجٍ وتعجُّلٍ يحمل حجرًا ويضعه أسفل الشباك المغلق، يقف على الحجر فيصير بمحاذاة الشباك، ثم يغنّي)

قنديل: فِدا فِدا.... فِدا فَدوى إذا إذا.... إذا تَرضى

يُضيءُ من فَرحٍ قنديل كما تُضيء الشمسُ غدا

فِدا فِدا.... فِدا فدوى

(تفتح فدوى الشباك مبتسمةً لكنها تندهش لقامة قنديل التي حاذت شباكها فيجيبها سريعًا ولم يزل و اقفًا على الحجر)

قنديل: ناديتُكِ بنداءِ الأمس

بِلُعبتِنا ونشيدِ صِبانا

فدوى: أذكرُهُ وطيورُ الأُنْس

تُشاركُنا ألحانَ غِنانا

(تنظر أسفل الشباك فترى الحجر وتكمل وهي تتساءل بعينها)

فدوى: ما هذا؟..

ولماذا يا قنديل وأنتَ بلا حجَرٍ أعظمُ شانا؟

قنديل: ما رأيك؟ **(يبسط ذراعيه مستعرِضًا)**

ما أجمل هذا الإحساسَ

وليس لأنّي أخجلُ من أن أرفعَ عنقي نَحوَكِ

بل أنتِ -ولو دُوني- سأراكِ سماءً ورِهانا

هو بُخلٌ باللحظة أنْ تتبدَّدَ بين قُدومِكِ ولِقانا

لكنّي (بفرحٍ شديدٍ) لن أحتاج لحجرٍ لأرى عينيكِ

ولن يحتاج رضاءَ أبيكِ هوانا

(تغلق الشباك باستغراب ولهفة وتخرج مسرعةً لتكمل حديثها معه أمام الشباك)

فدوى: ماذا تعني؟ **(ينزل قنديل عن الحجر)**

قنديل: أعني أنّي أبعُدُ خطواتٍ معدوداتٍ عمّا يجعلني إنسانا

إنسانًا في عَين أبيكِ.. وأبلغَ قلبًا ولِسانا

فدوى: يا قنديل أنا لا أفهم شيئًا!

قنديل: (يُخرج الزجاجة) أعطاني قارونُ العطّارُ دواءً سِحريًّا

لما أفضيتُ إليه بما كانَا

قال عليَّ بأنْ ألتزِمَ بجرعاتٍ ثابتةٍ (يشير إليها لتقرّب أذنيها)

والحقُّ فقد أوصاني كتمانَ الأمر وأنْ أعتزلَ النَّاس..

ولكنّي لا أصبر عن أملٍ يرجوه كِلانا

لم أقدِرْ ألّا أخبرَكِ؛

وقلبي عصفورٌ يترقّبُ باب القفصِ ويرقصُ فرحانا

آهٍ يا فَدوى.. ما زلتُ أحسّ بأنّي أحلمُ..

(على وجه فدوى مزيجٌ من الخوف والفرحة ويداها تشتبكان في توتّر)

فدوى: (بتوتر) لكنْ يا قنديل أخافُ عليكَ؛

بقاؤك أعظمُ عندي مِن رغبتِنا ورُؤانا

لا أعلم مَن جَرَّب شيئًا يُشبه ذلك، هل تَضمنُ...

(يقاطعها قنديل)

قنديل: قارون؟.. لهُو أشدُّ العطّارِينَ أمانًا وضَمانا

(تُوليه ظهرها ناظرةً إلى المكان الذي اختبأ فيه قارون من قبل)

فدوى: أوَلَا تخشى ضررًا يا قنديلُ؟

أنحنُ نسلِّمُ للعطّار مصائرَنا ودِمانا؟

قنديل: لا شيءَ لأخسرَه بَعدَكِ يا فَدوى،

وَلأنتِ مَصيري.. ودَمي مِن أجلِكِ هانَا

ولقد أخبرَني أنّي سأطولُ ثمارَ الرّمّانِ **(تلتفت إليه مرة أخرى)**

وأنّي سأقدِّمُها لخدودٍ تَغلبُ حُمرتُها الرّمانا

(يبتسم بحبٍ وتبتسم بشفقة)

والآن دعيني أتجرَّعْ أوّلَ قطراتِ المعجزة؛

فقنديلُ الآخرُ حانَا

وسآخذُ هذا الحَجَرَ (يحمل الحجر)

ليصبح ذكرى تُضحِكُنا وتثير شجانا

(ينصرف لبيته وهو يقول)

لا تنسَي يا فَدوى أن تُبقي ذلك سرًّا لم يعرفْه سوانا

وعِدِيني أن تنتظريني،

وعِدِيني أنَّ لقلبي في قلبِكِ يا فَدْوُ مكانا

(تومئ له برأسها مبتسمةً، وتَتْبَعُه بعينها حتى ينصرف، ثم تتحرّك واجمةً وهي تفكّر بصوتٍ عالٍ)

فدوى: العُتْبى يا قلبَ حبيبي.. يا قلبي ولكَ العُتْبى

أحيانًا ترتاح النّفسُ إذا الصعبُ تَمادى صَعبا

وإذا انقطع الأملُ وصار طبيعيًّا ما كنّا نحسبُه سَلبا

ما بالي الآن مُشتَّتةٌ كالمتقدِّم للنّار لتُدفِئه ولتحرقَه قُربا

يا قنديلُ عليكَ سلامي **(تنظر جهة بيتِه)**

ما زلتَ بعيني قنديلًا وغديرًا عَذْبا

خَوفي خَوفانِ؛ وظنّي أنّا نَتحدَّى ربًّا وأبا

لكنْ **(وهي تتأمل)** مَن هذا "قارونُ"؟

النافِخُ في المصباح وناحِتُ صَخرتِنا دَربا

ما هذي القُدرةُ؟

حتى يتحكّم بالجسد ويُبدع من عَجَبٍ عَجَبا

لكأنَّ له طيفًا برّاقًا يعبر في أفئدةِ النَّاس

ويخترق الحُجُبا

وكأنَّ لشُعلتِه الوقّادةِ لَهبًا يُشعلُ ما في القلب خَبا

(إظلام)

المشهد الثالث

(ثلاث بقع ضوئيّة تُضاء من اليسار إلى الوسط إلى اليمين بالتوالي وتتكررثلاث مراتٍ حسب الترتيب الآتي)

	يسار المسرح	وسط المسرح	يمين المسرح
1	(إضاءة) الزهّارُ يتحرك في ما يشبه الحقل مُتخفّيًا (إظلام)	(إضاءة) قارون في مَعملِه يخلع عباءته ويستعدّ للعمل (إظلام)	(إضاءة) قنديل يفتح القارورة متحمّسًا ويُجهّزُ الدّواء (إظلام)
2	(إضاءة) الزهّار يرفع منجلًا ويبدأ في حصاد عشب قارون الليليّ (إظلام)	(إضاءة) قارون متعرّقًا ومُنهكًا في طحن بعض الحبوب (إظلام)	(إضاءة) قنديل ممسكًا بطنَه ومتطلعًا في المرآة في أملٍ وترقّب (إظلام)
3	(إضاءة) الزهّار يلقي العشب في النهر وهو يصرخ منتقمًا	(إضاءة) قارون يرفع القارورة ويصرخ منتصرًا وهو ينظر لفأر كبير	(إضاءة) قنديل يشرب الكثير ثم يسقط وهو يصرخ متألمًا

تتكرر صرختهم وتظهر فدوى قُربَ بيت قنديل وهي تصمُّ أذنَها (**إظلام**)

المشهد الرابع

(قارون في ردهة بيته مُسترخيًا، مُستلقيًا على أريكة، يتناول حبّةَ فُستُق ويكسرها باستمتاع، طرقاتٌ هادئةٌ على الباب، يقوم ليفتح الباب عن فدوى الجميلة، يُسمَع في الخلفية موسيقى حالمة، عينا قارون تقولان كلَّ شيء، يصمتان.. ثم ينتبهان.. فيرحّب بها)

قارون: فدوى؟! (باستغرابٍ وتودُّد)

فدوى: هل تعرفُني؟

قارون: من ذا لا يعرف سِتَّ الحُسنِ

أميرةَ حيّ العطَّارينَ، نَجيبَةَ درّاز الحاكمْ

أهلًا أهلًا.. لكأنّي مِن شدّةِ فَرحي واهِمْ

فدوى (وهي تدخل البيت):

لا.. يا سيّدُ قارون.. أنا فدوى.. لستَ بِواهِمْ

لستُ خيالًا هيّأهُ لكَ عشبٌ تأكلهُ

أو هلوسةً وهواجِسَ حالِمْ

قارون: بل أنتِ العشبُ إذا اخضرَّتْ عيناه

وحرَّكهُ الريحُ النّاعمْ

بثمارٍ من بستان الجنّةِ وشِفاهٍ من حُسنٍ ظالِم

يأخذ طالِبَهُ في وديانِ الوجدِ

ويتركهُ لا سالمَ قلبٍ، لا غانِمْ

فدوى: ألهذا القَدر تراني عيناكَ جميلة!

قارون: بل كلُّ الكلمات قليلةْ

اللوحة لو رُسمَتْ يُعجزها اللونُ

وكلُّ الشِّعرِ أمامَكِ مَعدومُ الحِيلةْ

نوَّرتِ البيتَ.. أنرتِ لعَتْمَةِ قلبي قِنديلَه

(يندم قارون للتشبيه الأخير فيكزُّ على أسنانِه بغضب)

فدوى (وهي تجلس على الأريكة وهو ما زال واقفًا): قنديله؟

(يستدير قارون لإغلاق الباب، فتقاطعه)

فدوى: لا تُغلقْ بابَكَ.. ثمّةَ في رُوحي بابٌ مفتوحْ

ثَمّةَ أنواءٌ عالقةٌ وجروحٌ وقروحْ

(يجلس قارون في حين تقوم هي وتكمل)

مرّت أعوامٌ ما كان لأهل الحيّ حديثٌ غَيرِكَ يا قارونْ

فرأيتُكَ بالسمعِ، وشاهدتُكَ أثرًا وسؤالًا وحديثَ عيونْ

يومَ تلصَّصْتَ عليَّ عرفتُكَ

لم يخْفِكَ عني شجرٌ وغصونْ

أخبَرَني قنديلٌ عنكَ، وعن أملٍ مجنونْ (يقوم قارون منتهيًا)

واليوم وصَرْختُهُ تقطع شرياني وتهزّ الرّوحْ

لملَمتُ قُوايَ كأصدافِ البحرِ،

مشيتُ إليكَ أدُور على الرغبة واليأس كطيرٍ مذبوحْ

(يقتربان ويتواجهان)

في صدر كلَينا يا قارون كلامٌ.. والعين تبوح

ماذا أحدثتَ بقنديلٍ؟.. فَسِّر لي ألَمَه

قارون (يتنهّد ثم يجيب بتحدٍّ وفَخْر):

أحدَثتُ به معجزةً تجعلُهُ مُنصوبَ القامةْ

تجعله يتسلَّقُ سُورَ الخِلقةِ

يحفظ بين النَّاس مَقامَه

تجعله يمشي **(يلفّ حول فدوى)** بجوارِكِ

كتفٌ تلمس كتفًا والهامةُ في قَدرِ الهامة

تجعله يُثبِت لحبيبةِ نِصف الحيِّ غرامَه

إنّي قارون؛ وَهَبتُ العلمَ لغيري،

ولقلبي وَهبَ ضميرُ النَّاس حُطامَه

ومع هذا لم أطلب من قنديلٍ إلا أنْ يَحذَر أيامَه

صَرْختُه تلكَ (شارحًا) لأنَّ الجسدَ يُكاثِر كُتلتَهُ ويُطيل عظامَه

(يقترب من سلّم مَعملِه، يصعدُ درجاتٍ وهو يقول)

مُعجزتي تتحقّق

فدوى (باستبشارٍ): هل صِدقًا يا قارون تقول؟

قارون (يقف على الدرج ويشير لأعلى): في هذا المختبر دليلْ

شاهدتُ الفأر رويدًا يتحوَّل

ورأيتُ الأعضاءَ تَطولْ

لا شكَّ تألَّم وتشنَّجَ واصفرَّ وأزبَدَ.. لكنَّ الألمَ سبيلْ

وكذلك سوف يمرُّ خلال مخاض النّشأة قنديلْ

فدوى (بهدوء): شيءٌ من غضبي منكَ وخَوفي بدأ يزولْ

قارون (وهو ينزل): إنْ شئتِ انصرفي الآنَ

فإنّي ألمح في عينيكِ رفيفَ الرّاحةْ

ها قد طمأنْتُ فؤادَكِ يا فَدوى

فدوى: لكنّكَ أيقظتَ جِراحَه

قارون (مستغربًا): كيفَ؟

فدوى: تلاعبتَ بِبَحْري وأهجْتَ رياحَه

إنّي لأراكَ بعينِ غريقٍ؛

صرخاتي لا صوتَ لها ويَدِي لَوّاحةْ

نَزَع الدرّازُ قميصَ القزمِ وخاطَ به فَرشًا وأباحَه

جوهرةٌ أنتَ ومصباحٌ سِحريٌّ،

قنّينةُ عطرٍ فوّاحةْ

جَنّة إعجابٍ تتبرعم بين ذراعَينا؛

يُوشكُ أنْ يقضمَ كلٌّ تفاحَه

المشهد الخامس

(أمام بيت الدرّاز بالقرب من موضع الشباك السابق، نسمع أنّاتٍ واهنةً مُتباعدة لقنديل وصرخاتٍ أحيانًا، فيما يتحرّك الدرّاز و ابنتُه الكبرى أمام البيت ثم يقفان وقد استبدَّ بالدرّاز الغضب)

الابنة: هَدِّئ من روعِكَ يا أبتي؛ فالغَضْبةُ كالضّحكةِ عَدوى

الدرّاز: كيف.. وهذا القزم يكاد يصيب الأحلامَ ويقتنص الجَدوى

ها أنتِ تقولين بأنَّ العطّار يساعدهُ

الابنة: هذا ما قالت لي فَدوى؛

قابَلَها الجارُ وأخبَرَها بمزيجٍ سِرّيٍّ

واشترط عليها أنْ يَبقى ذلك بينهما كالسرِّ

كما لم يَتبَقَّ -على طُول كلامهما بالأمس- سوى النّجوى

الدرّاز: أختُكِ لا تعلم من نحنُ

وماذا سنصير إذا لم أمنعْ هذي البلوى

العِبرةُ ليسَت في قنديلٍ إنْ طالَ،

ولكنْ في نَسلٍ يتحدَّر منهُ نصير به أمثولةَ حارتِنا

بدلًا من أن يصبحَ لي سَلوى

أوَلَم أمنع أختَكِ عن هذا القزمِ؟

فما بالُ تَهوّرِها يجعلها تَتَتَبَّع حتى ما عنه يُروَى (صرخةٌ لقنديل)

الجسد نباتٌ يا بنتي؛

فَليَنظر كلٌّ مِن أيّ مياهٍ يُروَى

الابنة: لولا إصراري أنْ أعرفَ، ما باحت لي بالسرِّ،

فلما باحت لم أملكْ في ظلِّ رضائكَ تَقوى

الدرّاز: كنتُ على وشْك مقاربة الحاكم في عِزّتِهِ

كنتُ أودُّ لو انَّ بناتي يتبوّأن مقامًا أرفعَ/ أقوى

ماذا في أيّ شَريفٍ آخر، ماذا حتى في قارونٍ،

لو أنَّ لها عينَين لفَتَحَتْ للقلب نسيمًا أعذبَ

وطوَت صفحةَ قنديلٍ في ما يُطوى

الابنة (بمكر):

يا أبتي عجبًا، إنّكَ تتعلَّق بالشّاكي

وتغضُّ الطرف عن المتحكّم في الشّكوى

ابنتُكَ الغرّاءُ لِتَوٍّ عادت من بيت العطارِ

(الدرّاز يفتح فمَه وعينيه مصدومًا)

ولا تسألْني هل كانت تُوصيهِ أم انقسمَت نارًا وهَوى!

وكذلك لا تسألْني من أينَ عرفتُ؛

فكلٌّ سوف يُجازَى كيف نَوى

(تُخرِسُ الصّدمةُ الدرّاز، ثم يتقدّم للبيت بعصبية وهو ينادي)

الدرّاز: فَدوى.. فَدوى..

(إظلام)

الفَصلُ الرّابع

المشهد الأول

(أبو قارون يدخل بيتَه مبتهجًا فيما زوجتُه تعدُّ العَشاء وظهرُها له)

الزوج: أرأيتِ؟.. وكُنتِ تخافين عليه ومِنه!

كنتِ تقولين سيسلُكُ مسلكَ قارونَ؛

وها هو أبعَدُ شخصٍ عنْه

كم بالغتِ ووصَّيتِ "امنعْهُ.. انصحْهُ.. اتبعْهُ وصُنْه"

(يقول ذلك وهو يقلِّدُ زوجَتَه)

اليومَ رأيتُ صفوفَ النَّاسِ أمامَ الدُّكانِ؛

صحيح.. (باستغراب) كان على بعضٍ منهم أعراضٌ شائهةٌ

والبعض هزيلٌ ويعاودُه القَيءُ،

(يعود لحماسَتِه) ولكنّ ابنَكِ إنْ عَنَّ لداءٍ ترياقٌ في الحال يَكُنْه

كبِرَ النابغةُ، وصار كبيرَ الصَّنعةِ

أبْدَعَ.. لم يَتركْ في فَنِّ العَطّارِينَ مَزيجًا لم يُتقِنْه

بل إنَّ الحاكمَ أرسَلَ يستدعيه اليومَ لقَصرِه!

(تضع ما في يديها وترفع رأسَها إليه)

الزوجة: حقاً؟.. يا ليتَ الحاكمَ يُفلِحُ في ذلك (يَداها للسّماء)

الزوج: ما "ذلك"؟

الزوجة: (وهي تقترب من زوجها مستنكرةً) أوَما قلتَ استدعاه لقَصْرِه؟

الزوج (وقد انتبه للجِناس): آهٍ من جنسِ المرأةِ/ آهٍ من كلِّ جِناسْ

يا سِتَّ النَّاسْ

استدعاه إلى العرش، وقد أخبرتُ العاملَ في دكّان عِطارتهِ

أنْ يُعْلِمَه بسؤالي عنهُ، وأنّي أنتظر زيارتَه الليلةْ

الزوجة: رأسي خِرقٌ مُشتعلةْ

وفؤادي يسمع أقدامَ الحُرّاسْ

أسمعُهم يندفعون بقارونَ إلى المقصلةِ

وثَمَّةَ مَن سيدقُّ الأجراسْ!

الزوج(متردّدًا بين الفرحة والقلق): يا سيّدةَ الشؤمِ الأبديّ

ما لكِ ترتَعشِينَ أمامَ الفرحةِ، وإذا خُيّرتِ اخترتِ الخَوفْ!

العالَمُ لا يلتَفِتُ أمامَ الضَّعفْ

وشعورِكِ هذا -إنْ لم نَستَنّ لهُ حَدًّا- مرضٌ نفسيّ

يا سيّدةَ الشؤمِ الأبدِيّ

ابنُك في أبهى صُورتهِ، لكنّكِ منذ اختار العُزلةَ في بيتٍ وَحدَه

أصبحتِ تخافين طَوالَ نهارِكِ فَقْدَه

الزوجة: تحسبُني أمًّا ساذجةً غاية ما يشغلني بُعد ابني عنّي

في البدء أقولُ نَعَم شيءٌ من فَقْدٍ أو غضبٍ أو سُوء الظنّ

ثم استشعرتُ الخوفَ وقد صار غريبَ الأطوار قليلَ الطلَّة

ورأيتُكَ لا تَعبأُ إلا بجديد الأكلة والحُلّة

وافقتَ بلا أدنى قلقٍ أنْ تتخلَّى عنهُ

ولم يتحركْ جفنُكَ، لَم تستنكر قَولَه

ماذا لو ما كان وحيدًا ظَلْنا نتمنّاهُ من الدنيا ونتابع ظِلَّه

أصبحْنا نطلبُ منهُ زيارتَنا

ويمنُّ علينا شيخُ العطّارينَ بساعاتٍ قِلّة

قارون وإنْ يطلبْه الحاكمُ، بَلْ إنْ أجلسَهُ فوق العرشِ

يظلّ يحسُّ أمام براءتِهِ ذِلّة

مذ كان صغيرًا وأنا أتتبَّعُ نِقمتَهُ وغُرورَه

وأحاول أن أطردَ عنه شرورَه

شيءٌ في الغيب يُحدِّثُني أنَّ اللعنة تَتَتَبَّعُهُ وكوابيسَ تَحُوكُ مَصيرَه

الزوج: حسبُك حسبُكْ

غَبَشٌ يتنقَّلُ في عينيكِ ويهذي بضلالٍ قلبُكْ

إنَّ ابنَكِ لم يَسرقْ

لم يُنكرْ أصلًا، لم يَتَعالَ على النَّاس ولَم يَخرجْ عمّا أنزلَهُ ربُّكْ

وأقولُ -وثُوري إنْ شِئتِ- بأنَّ العزلة يا سيّدتي ذنبُكْ

(الزوجة مندهشة صامتة، يكمل الزوج)

ماذا يدهشُكِ؟

فما زلتِ تبثّينَ شكوكَكِ والخَوفَ، وتنتقدينَ الوَلَدَ

ويفْرِطُ في لَومِ حُبُّكْ

الآن تقولين تخليتُ ولم أعبأ.. بل إنّي راءٍ ما لا سوف تَرَينَ

وهذا من أسفٍ عَيبُكْ

(يتنهّد الزوجُ ثم يكمل بشجن)

لا عنه تخليتُ.. ولكن مِن أجلِه

وتركتُ له دُكّاني وقَبِلتُ بأنْ أُذكَرَ في ظلّه

هذا يا صاحبةَ سِنِيني هو خوفُ الأفياءْ

الرّغبةُ في استمرار السِّيرةِ

بل في قُوّتِها عَبر الأسماءْ

البذرة حين تمدُّ جذورَ صلابتِها

وتُبرعِمُ زهرتُها الفوّاحةُ في الأبناءْ

(يقطع حديثَهما طرقاتٌ على الباب، يهمّ الزوجُ فرحًا ليفتح وهو يتهيّأ للتحية، لكن قارون يدخل عليهما زائغ العينين صامتًا يمشي مترنّحًا ويكادُ يسقط فيسنده الأب وتندفع أمُّه إليه)

المشهد الثاني

(الأبوان يجلسان متجاورَينِ وعلى مَقعَدٍ مُواجِهٍ لهما يجلس قارون بعد أن استعاد بعض انتباهه وأمامَه شرابٌ أعدّتْه له أمه.. ينظر للكوب ويقول)

قارون: لم يُرسِلْ لي شُرطيًا بلْ حاجبَ عرشِه

لم يُخبرْني بلِسانٍ

بل بكتابٍ مَلكيٍّ وعليه فخامةُ نَقشِه

النَّاس أمامَ الدُّكانِ اندهشوا

وأنا في فخرٍ رُحتُ أفضُّ رسالتَهُ

لم أعرفْ أنّي كنتُ كمَن يفتحُ مقبرةً ويُشيرُ لِنَعشِه

لا شيءَ سِوى "قِف بين يَدَيْنا اليومَ"، فلَم أفهَمْ

لكنْ لو كنتُ مُدانًا ما صَبَر عليَّ ولم أسلَمْ من بَطشِه

قلتُ سأتحرّكُ مِن فَوري لكنّي آثرتُ بقائي

ليراني العامّةُ أثقلَ مِن أمْرِ الحاكِمِ ومقامي أكبرَ مِن طَيشِه

ثُمَّ تحركّتُ بلا عَجَلٍ حتى جاوزتُ الحارةَ

فتَعَجَّلتُ وسِرتُ بخطواتٍ واسعةٍ

تسبقُني نبضاتي لطلاوة فَرشِه

وصَّيتُ العامِلَ أن يملأ صندوقًا

بالنادر من عطرٍ وبذورٍ أو أعشابْ

ووصلتُ وأدخلَني حاجبُهُ ثم انغلق البابْ

قدَّمتُ هداياىَ، وحيَّيتُ الحاكمَ والقاضي والدّرّازَ

وأطبَقَ صمتٌ لا يقطعُهُ أيُّ جوابْ

للقاضي ثقةُ الصَّبّار، وللحاكمِ نظرةُ فلفلةٌ تتوهَّجُ

أمّا الدرّازُ فكان يكبّلُني بالنّظراتِ كما طوَّقَ بيتًا لبلابْ

لكنْ أبدًا ليس لأيٍّ منهم نظرة إعجابْ

أسئلةٌ تنهشُ بالي

وخيالي لا يلبثُ أن يتيقَّنَ حتى يرتابْ

ثُمَّ بلا تمهيدٍ قال:

(يُضاء يمين المسرح عن الحاكم والدرّاز والقاضي كأنّه ذاكرةُ قارون تتجسّدُ أمامَه، في حين يؤدّي قارون كلامَه و أفعالَه أمامَ أبويه كأنّه في القصر)

الحاكم: ثمّةَ أرواحٌ منتفِخَة

يغريها الزهوُ ويُسكِنُها حُبُّ السّطوة فَخَّه

في لحظةِ وَهمٍ قد يعتقدون بأنَّ مصير النَّاس على نَفخَة

ها إنَّ بريقَ ثيابهمو لا يُخفي تلك الأرواحَ المتَّسخَة

ماذا أحدثتَ بناسِ الحيّ؟

وكيف تمكَّنتَ من العَيشِ بلا نَفسٍ تتحسَّر؟

كيف تصوَّرتَ بأنّا نتركُكَ تُشيّدُ بنيانَكَ فوق رؤوسٍ تتكسَّر

قارون: مولاي..

الحاكم: تكلَّمْ يا درّازُ بما أخبرتَ

وما يحسبهُ الساذجُ (يشير لقارون) سِر

الدرّاز: هذا يا سيّدَنا عطارٌ يستعمل أعشابًا مسحورة

يَترك في متناوَلِ أيدي النَّاس بُذورَه

يتركهم يحترقون بفِطرتِهم كي يُرضي بالسِّحر غرورَه

منذ أسابيع ثلاثة

شُوهِدَ رجلٌ قُربَ النّهرِ عليه ثيابٌ رثّة

كان يطوّح للماء يَديهِ

ولا يدري أحدٌ ماذا في نهر مدينتنا نَفثَه

قَبَضَ عليه الحُرّاسُ فَلَم يُخبِر عمّن حَثّه

ثم اكتشفوا أنْ كان يُطوّحُ ما حَرثَه

(يفتح قارون عينيه بذُعر)

كان غريبَ الخِلقة، تركوه ولكنْ عَلموا أنَّ اسمَ المجنونِ الزهّار

وما هي إلا أيام حتى ظَهَرَ على بعض النَّاس علاماتٌ ممّا بَثّه

واعتقد طبيبُ الحيِّ بأنَّ هناك وباءً ساري

لم يقتصر الأمرُ على أطراف القريةِ

بل كاد -معاذ الله- بأنْ يدخلَ داري

صرخاتٌ يا مولاي تمزّقُ هدأةَ ليلَتِنا مِن قزمٍ يسكنُ جاري

وعلمتُ من ابنتيَ الصغرى فَدوى أنَّ العطارْ

(قارون يبتلع الغصّة)

هو من يخلط هذا ببذورٍ يُسمِيها ببذور النّارْ

وسَقى منها القزمَ لكي -حاشا لله- لكي يجعلَهُ خَلقًا آخر

(يواجه الدرّازُ قارونَ بعينين مُتحدِّيَتَين، ثم يكمل في شفقة)

فإذا جاري في كلِّ مساءٍ ينهار

وإذا هو (يشير لقارون) صاحِبُ ما كان يُطوّحُهُ في النّهر الزّهّار!

قارون (بعَدَمِ صبر): اسمح لي يا مولاي..

الحاكم: خسئتَ.. ويا لكَ من عقلٍ ملعونْ

لكأنَّك حقًا قارونْ

هذا جسدٌ مُتَعالٍ و ضميرٌ مفتونْ

(يزفر ثم يُوجّه كلامه للقاضي)

بِمَ تُفتينا في هذا المغرور جنابَ القاضي؟

قارون (معترضًا وأبواه متوتّران وقد وقَفا على قَدَمين):

يا مولاي أليس لمظلومٍ عندكمو أنْ يُبدي رأيا

ما عَهِدَ النَّاس بقربكمو نأيا

القاضي: لو تأذَنُ يا مولاي فَدَعْه يَقُلْ

حتى لا يُنقَل عنكم أنْ قد سبق السيف العدل

(الحاكم يشيركمن يمنح فرصة أخيرة فيتنهد قارون ويجلس أبواه)

قارون: أنا لا أُنكِرُ أنّي صاحبُ هذا الحقلِ

وأنَّ الزهّارَ أجِيرٌ عِندي

نَقَل إليّ الزرعَ ولا أعلم ما يَفعل بَعدي

لكنْ يا مولاي.. الدرّازُ يبالغ فيما يَذكرُ؛

فالنَّاس إذا مَسّهم الضرُّ سيأتون إليّ ولو كنتُ الجاني

بالضبط كما ينجذب الضدُّ إلى الضدِّ

وما ألقاه الزهّارُ -وقد أوقَفَه الحَرَسُ- (يشير بيده كمن يقول على حسب كلام الدرّاز) قليلٌ،

والماء الجاري يَصرفُهُ، ما لم يتكاثفْ عند السدِّ

العشبُ الخالصُ يُحدِثُ أثرًا فعّالًا

فإذا خالطَهُ الماءُ تشتَّتَ منخفضًا عن هذا الحدِّ

لاحظتُ بلا شكٍّ مَن يتوافدُ عند الدّكانِ

وأعراضًا تجعلني أتشكّكُ..

والحقّ فإنّي يا مولاي أُدِينُ وُقُوفي بين الصَّحوة والعنْدِ

لكنْ لا يصلُ الأمرُ لأنْ أتسلَّى بمصير النَّاسِ

وأربطهم في رَمْيةِ نَردِ

أبوايَ من النَّاس، وماء النهر مشاعٌ؛

لو أطلقتُ الشيطانَ بعيدًا لرأيتُ لِعَضَّتهِ أثرًا في زندي

أمّا القزم فقد وافَقَ

من أجل حبيبتهِ (ينظر بتشفٍّ للدّرّاز) فَدوى أنْ يَقبل وَعْدي

ولهذا تجدُ الدرّازَ عنيدًا ضِدّي

سَلْ يا مولاي النَّاسَ؛

فكم عالجتُ مَن استعصَتْ حالتُهُ بِيَدي

سَلْهم عن عَمَلي واسمِي، عن دِقَّةِ رَدّي

(تضع أمُّه يدَها على صدرها، ويتوجّه هو للجمهور)

ولقد كنتُ أُعدُّ لهم في بَيتي مُعجزةَ غَدِي

ولَدَيَّ بمعمليَ دليلٌ أنّي لم أفقِدْ رُشْدِي

(يتوجّه للحاكم ويصمت، ويومئ أبوه برأسه مقتنعًا ومندهشًا)

(يهدأ غضبُ الحاكم وينظر للدراز نظرةً جارحة، ثم يشير للقاضي)

القاضي: وقَر بقلبي يا مولاي بأنّ الشابّ العالِمَ أخطأ

وبأنَّ تجاربَه نَوعٌ مرفوضٌ من حيث المبدأ

النَّاسُ على خِلقَتِها وعلى فِطرتِها تَنشأ

هذا جَريٌّ فوق الأحبالِ وحَدّانِ على جِسمِ سِلاحْ

هذا جُرمٌ في ثوبِ مُباحْ

وعليهِ الآنَ (يشرئبُّ قارونُ برأسه ويقف أبواه)

بأنْ يمنعَ ما حاول لَغوًا أنْ يبدأ

فإذا لم يفعلْ

فليَحملْ وِزرَ النَّاس ويُقتَلْ

(إظلام يمين المسرح، تضرب الأمُّ على صدرها، يلتفتُ لهم قارون في يأس ويقول)

قارون: هذا ما صار

والآن عَليّ بأنْ أعملَ ضدَّ التجربةِ مَساءَ نهارْ

أنْ أقتُلَ حلمي بِيدِي أو أقتل نفسي

مقتولٌ مقتول، ما أتفَهَ نورَكَ يا قارون أمام النّار

(أبواه متأثران ولا يستطيعان مواساتِه، يتحرّك نحو الباب خارجًا)

الأم: ابقَ الليلةَ معنا

قارون: يا ليتَ؛ فإنّي أشعر في حَلقي غصَّةَ مهزومٍ

وعلى رُوحي قَفَصٌ وحِصارْ

لكنْ يا أمّي أصبحَت العزلةُ إجبارًا

لا أملك في أمري أيَّ قرارْ

يا أبتِ استغفر لي.. من ذنبٍ لا أعلمهُ

لكن لا ضَيرَ فكم غَيّرَت الدعواتُ الأقدارْ

الأب (كمن يدرك حقيقةً متأخِّرَة):

ذنبُك لا تعلمُهُ لكنّي أعلم ذَنبي (تُحوِّل الزوجةُ نظرَها في دهشة)

وأحسُّ الآنَ كأنّي لم أعرف قلبي

وكأنّي أعطيتُكَ مفتاحَ الهاوية بِصَمتي وبِدافعِ حُبّي

حقًا.. (يسأله ساخرًا ومشيرًا إلى الكوب الذي كان على المنضدة)
هل نشرب من هذا الماءِ؟

وهل نأتيكَ قريبًا بالوَعكةِ والعَطَبِ؟

اذهب يا وَلَدِي..

صَحِبتْكَ الرّحمةُ وأحاطتْكَ عنايةُ ربّي

(يغلق قارون الباب آسفًا بين حُزن أبيه وبكاء أمه، إظلام)

المشهد الثالث

(يدخل قارون بيتَه منكسرًا شاردًا، لا يغلق البابَ خلفَه، يجلس على الأريكة كأنّه يُلقي نفسه عليها، ينكفئ على نفسه مشبّكًا أصابعَه.. ثم يرفع رأسه، يقوم مستندًا على الأريكة مرةً أخرى، يخلع عباءته ببطء ويلقيها.. يتّجه لمعمله في الظلام.. يطلق زفيرًا حارًا ويبدأ في الصعود.. ينظر للفأر في حيرة)

قارون: قُل لي يا فأري

كيف أعيدُكَ سِيرتَكَ الأولى؟

كيف وفي دَمِكَ الآن عقارٌ يطلق في أمركَ يَدَه الطُولى

هل يمكن أن أجتثَّ شراييِنَكَ وعظامَكَ والجِلدَ ولَحمَكَ.. كلّا

لا يمكن في شأنِكَ إلّا

أن أضربَ رأسي في أعمدة البيتْ

وأعضَّ على كفّي نَدمًا حيث تَوَلَّيتْ

مع أنّي لا أعلم يا فأري ماذا غير الإبداع جَنَيت!

هل كان عليّ وقد شاهدتُكَ تلفظ أنفاسَكَ

ثم تعود بمعجزةٍ من أثر الموتْ

أنْ أتحرَّى

كيف تجرّأتُ وخُنتُ أخي الإنسانَ،

ظننتُ العالِمَ في ما يَعلمُه حُرّا

يا فأرى لستَ غريبًا فاسمح لي أن أفضح سِرّا

(نشاهد شخصًا ملثّمًا يتسلَّل عبر باب البيت المفتوح ويتحرك منحنيًا في حذرٍ خلف الأريكة ويظل مختبئًا خلفها فيما قارون يقول)

حين تيقَّنتُ بأنَّ الزهّارَ تَناوَلَ من عُشبي الليليّ

شيءٌ في صدري كان سعيدًا

وكأنّي أنتظر الساحرَ في قلقٍ مَرِحٍ وطُفوليّ

(نشاهد الملثّم يقف ببطء، له يدان طويلتان جدًّا، في أحدهما منجل، يكشف وجهه بيده الأخرى، فإذا هو الزهّار بأنفٍ طويل

وبعينين غاضبتين، يبدأ في الاقتراب من سُلَّم المعمل وقارون لم يزل يحدِّثُ نفسَه)

لم آمرْهُ أن يأكل منها، لكني أيضًا لم أمنعْه بما يكفي

وأثَرْتُ غريزتَهُ بالحذر الزائد حتى عاد بفَعْلتِهِ إليّ

ورأيتُ الصُّدفةَ تفتح لي بابًا جذّابًا وبُطوليّ

(نشاهد قنديل القزم يتسلل عبر الباب المفتوح مشوَّهًا بشعرٍ طويل وساقٍ أطول من أخرى وأحد حاجبيه أشدّ كثافةً وفي يده زجاجة، يشعر به الزهّار فيعود للاختباء سريعًا خلف الأريكة التي يقف قنديل عند طرفها، أثناء قَولِ قارون)

حتى قنديل المسكينْ

هو من وَضَعَ أمامي رئتَيه على طرف السّكينْ

هو من أغواني أن أتجاوز ألفَ محاولةٍ

قبل التدقيق وقبل التمكينْ

أطلقتُ العفريتَ ولم أعرف بعد إذا كنتُ سأغلق قُمقُمهُ

إنّي وهُما أفلَتْنا أنفسَنا لِهَواها والويلُ لمن لا يحكمُهُ

حتى فَدوى...

(ينتبه قنديل ويتقدّم خطوة، أمّا قارون فيلفُّ ظهرَه للفأرويقترب من السلم نازلًا وهو يقول)

في هذا البيت (يقف ويشير لأسفل) تَفلَّتَ ظَبيُ حلاوتِها

واختلطَتْ ماءُ الحسرة مالحةً بالماء العذبِ

كموجٍ في قبضة موجٍ يلطمُهُ

(ينزل آخر الدرجات ويلتقط مصباحًا يبدأ في إشعاله وهو يتحرّك نحو المنتصف)

فدوى بذرة نارٍ، قنديلٌ كان لها عشبًا ليليًّا، والزهّارُ شرارةُ كبريتٍ، وأنا من لا يعرف صوتَ خبيئتهِ فمُهُ

(يضيء المصباح مع الكلمة الأخيرة فيصيح ثلاثتهم في ذُعر)

قارون: مَن أنتَ؟.. (يلتَفتُ) وأنتَ؟

وكيف تسلَّلَ كلٌّ منكم؟ من بابٍ أم شبّاكْ؟

(الزهّار وقنديل يقتربان وينظران لبعضهما بتعجُّبٍ ثم لقارون، يقترب الزهّار ويدور حول قارون المتوجس خيفة ويراقب كليهما ثم يتكلم بصوت غريب)

الزهّار: أنا لا أعرف هذا المخلوق (يشير لقنديل)،

ولكنْ بالتأكيد كِلانا بعض ضَحاياكْ

طبعًا لا تعرفني يا سيّدُ قارون؛

فلا صوتي صوتي، ويداي مُرفرِفتانِ كما شاءت للمسخ يداكْ

أنفي يتمدَّد كالوتدِ، كنَبْتٍ شَيطانيّ في وجهي

ويعاودني ألمٌ فَتّاكْ

لكنْ وبكلِّ الحِقد عليكَ وغَضبي.. ليس لبُؤسِي الآنَ سِواكْ!

ألقيتُ العُشبةَ في الماءِ

لأدفعَ عن باقي النَّاسِ أذاكْ

وبلَحظةِ وسواسٍ أعجَبَني فِعلي؛

لن أبقى وحدي مِسخًا منبوذًا.. فلْيَسِر الكلُّ على الأشواكْ

(ينفعل ويتكلّم بجِدّةٍ وتهديد)

عُدْ بي، وأعِدْ لي الزهّارَ النّوارَ

وإلّا (يرفع منجلَه) سيكونُ خيالُكَ آخرَ من سوف يراكْ

قارون (باشمئزاز وخوف): أنتَ الزهّار؟ (يتدخّلُ قنديل)

قنديل: وأنا المجنيُّ عليه الثاني

(يقترب وهو يعرج ويتحدّب ظهرُه)

الفاتح صدرَ سماحَتِه لجنونٍ وطِعانِ

المقتول برغبتهِ والماثلُ تحتَ حذاء الجاني

عبثًا وهباءً وسُدًى (يبكي) ما كنتُ وما زلتُ أعاني

تشويهُكَ لا شيء أمام فؤادي المتحطِّمِ كِسَرًا

وأنا أسمع أنشودةَ أحزاني

فَدوَى **(يضرب بقبضته على جانب الأريكة)**

اللعنة يا زمنَ المسخِ ويا شفةَ الرّمانِ

يا أجملَ ما كنتُ أظنُّ من المعنى حيث الأرواح معاني

اللعنة يا عينيّ.. (يشتدّ بكاؤه) فلَيْتي ما كنتُ أرى فدوى

يا ليتي ما كنتُ أراني

(لحظة صمتٍ ثقيل من ثلاثتهم وهُم يُشكّلون رؤوسَ مثلث)

(قارون يمشي مشدوهًا ويجلس على أريكته مدركًا فداحة الأمر، يتكلّم كأنّه صوت داخلَه، وكأنّ لكلامه صدى يتردد)

قارون: أسمع في رأسي ضرباتٍ عاليةً، جيشٌ من أفكارٍ يقرع في العقل طبولَه (يُسمع صوتُ إيقاعٍ شَبيه في الخلفيّة يتعالى تدريجيًا)

أسمع صرخاتٍ وأرى عاهاتٍ

(يحرك رأسَه كمن يطرد مشهدًا من عينيه)

وأيادٍ تمتدُّ بزهرة عَبّادٍ مقتولَة

قد أفهم أنّكَ (يشير للزّهار)

غامرتَ بشيءٍ مجهولٍ ونتائجَ مجهولة

أمّا أنتَ (يشير لقنديل) فكيف اختلَّ دوائي

أو ماذا أفسَدَ مفعولَه!

لكنّي أعلم أنَّ القاضي قد أحسَنَ لي إذ أمهلني، لو كنتُ مكان الحاكمِ **(يقتربان منه على غير اتفاق ويتسارع صوتُ الطبول)**

لمْ أرضَ بغير يَديَّ مُعلَّقتَينِ على باب الدُّكانِ المقفولةْ

ماذا تنتويان **(قارون مذعورًا)** لماذا تقتربان،

أنا بالفعل بدأتُ العملَ

(يسارع الزهّار لربط يَدَي قارون في حين يرفع قنديل الزجاجة)

ولن أعدمَ حِيلةْ

لا.. لا تَندفِعا فأنا وحدي من يمكنُهُ

(الزهّار يقيّد يديه وقنديل يرفع الزجاجة إلى فمه)

نَفْعكما الآنَ **(يسقيانِه فيكمل منهارًا)**

أنا الغاية من عِلمي.. وأنا الآنَ وسيلة

قنديل: هذا سيُعجِّل صُنعَ يديكَ

(يكمل بسخرية) فأبشِر بشفاءٍ وبطولةْ

المشهد الأخير

(مشهدٌ حركيٌّ صامتٌ لقارون في معمله في ثلاث إضاءاتٍ متتالية)

1	قارون يبدو عليه الإرهاق، واقفٌ في شِبهِ انحناءةٍ ومنهمكٌ في طحن بذورٍ وخلطِها في اضطرابٍ ويداه ترتعشان، يمسك بطنَه ألمًا أحيانًا وينظر للفأر فيعود للعمل بتوتّر **(إظلام)**
2	هيئةٌ رثّة.. وشَعر أشعث وهالاتٌ تحت العين، زاحفًا على ركبتيه يعصر قارون بطنه بيدٍ ويمدّ بالأخرى طبقًا للفأر الكبير **(إظلام)**
3	فأرٌ صغيرٌ في القفص، وقارون بملامح شائهة مُلقًى على الأرض يرفع يده بزجاجةٍ صغيرةٍ منتصرًا ويبتسم ابتسامةً واهنة

(سِتار)

تمت 2024/11/30

عن الكاتب

عادل محمد

طبيب أسنان

عضو اتحاد كتاب مصر

أعمالُه الشعرية:

تعوَّذْ أنْ تموت 2007

إليك يسير الطريق 2008

الحديقة ملأى بالطواويس 2009

الذي من شِيعتِه 2013

لا تَقصُصْ رؤياك 2017

ناحِتُ التماثيل 2021

التصويب على هدفٍ متحرّك 2022

مِن بيتي حتى صوتي (ديوان للأطفال) 2022

يصلُحُ للاقتباس 2022

استعمالٌ لمرّةٍ واحدة 2022

نَقْشٌ وتشكيل 2024

مُعاتَبَةُ الحظ 2024

كأنَّكَ يا غازيًا ما غزَوت (السيرة الهلالية الفصيحة) 2024

الأعمال غير الشعرية:

قرن الغزال (رواية) 2009

ضَرَر (رواية) 2021

المعيار في التذوّق الفنّي (نقد) 2019

تحت الطبع:

لا تدخل الأربعين (ديوان)

فيروس (رواية)

Dento32@gmail.com